

العقيدة

موضوعات المحور:

- العقيدة ودورها في حياة الإنسان.
- معرفة الله
- التوحيد ومراتبه
- العدل الإلهي.
- نبوة الأنبياء.
- نبوة نبي الإسلام.
- شمولية الإسلام وعالميته.
- الإمامة امتداد للنبوة.
- المعاد والأدلة عليه.
- رحلة الآخرة.

الدرس الاول: العقيدة ودورها في حياة الإنسان

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يتعرف إلى معنى العقيدة.
- 2- يتبين دور العقيدة في حياة الإنسان.
- 3- يحدد الطرق إلى معرفة الله.

معنى العقيدة

يعيش كل إنسان في هذه الدنيا وهو يحمل مجموعة من الأفكار والآراء والنظريات التي يؤمن بها ويعتقد أنها صحيحة لا تقبل الشك، هذه الأفكار والآراء هي التي نسميها العقيدة، لأنها تُحكم سيطرتها على هذا الإنسان فتوثقه وتربطه وتشده إليها، في أفعاله وفي شعوره. وتتمثل في الأصول الخمسة وهي: التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، المعاد.

ارتباط العقيدة بالإنسان

ترتبط العقيدة بالإنسان من ناحيتين:

الأولى: عقل الإنسان: إن ما يعتقد به الإنسان يتحكم بمحمل رؤيته للكون وللحياة، ولكل ما يفكر به، حيث تكون العقيدة حاضرة لدى الإنسان في كل فعل يقوم به أو قرار يتخذه.

الثانية: قلب الإنسان: يمتاز الإنسان بأنه يملك الشعور بالحب والبغض والإعجاب وغير ذلك، وأنواع الشعور هذه ترتبط أيضاً بما يحمله من عقيدة.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾¹، فصاحب العقيدة الراسخة لا يخاف بل يزداد إيماناً وصبراً عند الشدائد.

ارتباط العمل بالعقيدة

يرد السؤال الآتي: هل العمل أهم أو العقيدة؟ وما دور العقيدة إذا كان العمل الذي يؤديه الإنسان صالحاً وصحيحاً؟

¹ سورة آل عمران، الآية 173.

ينظر الإسلام إلى العقيدة على أساس أنّها المعيار في كون العمل مقبولاً، فلا يكفي لكي ينال الإنسان الآثار المطلوبة من العمل أن يأتي به صحيحاً، بل لا بدّ وأن يصدر منه على أساس العقيدة الصحيحة.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام: "لا يُنْفَعُ مَعَ الشُّكِّ وَالْجُحُودِ عَمَلٌ"¹.

ونجد أنّ القرآن الكريم دائماً يقرن العمل الصالح بالإيمان: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾².

نّ فائدة العمل الذي يقوم به الإنسان تكون بمدى ما له من تأثير على تكامل هذا الإنسان، ولا يكون العمل مؤثراً في تكامل الإنسان، من دون عقيدة تحركه. فالإنسان الجاحد للحقّ والمنكر له أو الشاكّ فيه، كيف يمكن أن يكون عمله هذا مقبولاً عند الله ويتربّ عليه الثواب وهو لا يؤمن من الأساس بوجود الله عزّ وجلّ؟!.

والإنسان الذي يملك إيماناً حقيقياً ينعكس ذلك في حياته كلّها فيجعلها في طاعة الله.

لذا فإنّ أوّل سؤال يُسأل عنه هذا الإنسان بعد موته، وعند حضور الملكين إليه هو: من ربّك؟ وما هو دينك؟ ومن هو نبيّك؟

أي، ما هي عقيدتك، وما هي الأفكار التي كانت تدفعك لكلّ عمل قمت به في هذه الدنيا؟

طرق المعرفة

لم يطلب الله عزّ وجلّ من الإنسان المعرفة إلا وقد سهّل له طرق الوصول إليها، وهي متعدّدة، سهلة، وفي متناول الجميع، ولذلك وهبه الله سبحانه الأدوات التي من طريقها يصل إلى المعرفة الصحيحة، ومنها:

¹ الشيخ الكليني، الكافي، ج 2، ص 400.

² راجع سورة الشورى، الآيات 22، 23 و 26.

1- الحواس:

إنَّ أوَّلَ طريقٍ يتعرَّفُ الإنسانُ من خلاله على هذا الكون هو طريق الحواسِّ الخمس (السمع . البصر . الشم . الذوق . اللمس). ويؤدِّي فقدان حاسة من هذه الحواسِّ إلى فقدان الإنسان مجموعة من المعارف والعلوم.

2- العقل:

وهي الأداة التي وهبها الله عزَّ وجلَّ لهذا الإنسان، وخصَّه بها دون غيره من المخلوقات. وامتلاك الإنسان لهذه الأداة جعله يدرك الأشياء التي لا تتمكَّن سائر المخلوقات من إدراكها.

ومثال ذلك يدور حول التساؤل التالي:

هل رأيت الكهرباء؟ كيف تؤمن بوجودها وأنت لا تعرف حقيقتها؟

الجواب: العقل هو إحدى الطرق التي أوصلتك إليها، فمتى رأيت الضوء، علمت أنَّ هناك طاقة ما جعلته يبعث النور.

وهذا إيمان بالعقل لا بالحس، لأنك وصلت إلى يقين واطمئنان بوجود شيءٍ لم تدركه بوحدة من الحواسِّ الخمس.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذين الطريقين، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾¹.

معرفة الله عزَّ وجلَّ

تتحدَّث الآية الكريمة: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾² عن وجود طريقين لمعرفة الله

¹ سورة النحل، الآية 78.

² سورة فصلت، الآية 53.

عزّ وجلّ، يصل الإنسان من خلالهما إلى الإيمان بوجود الله، من خلال استخدام أداتي المعرفة لديه أي الحسّ والعقل.

الطريق الأول: التأمل في الآفاق

إذا تأملت فيما يحيط بك من مخلوقات صغيرة وكبيرة، من شمس وكواكب ونجوم وليل ونهار وسحاب ومطر، فإنك سوف تجد أنّها قد نُظمت بشكل دقيق للغاية. بحيث لا تستطيع إلا أن تعتقد بوجود قوّة عالمة قادرة قاهرة قامت بفعل ذلك كلّها. وهذا هو الله عزّ وجلّ.

وقد وردت آيات أخرى في كتاب الله عزّ وجلّ تفصّل هذا الطريق وتشرحه لنا منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ¹﴾.

الطريق الثّاني: التأمل في الأنفس

لو نظر الإنسان إلى نفسه، فإنّه سوف يدرك تماماً أنّه لا بدّ له من خالق أوجده، لأنّه يعلم يقيناً أنّه لم يكن موجوداً ثمّ وجد فهو:

أ- إمّا أن يكون قد وجد من دون علّة ودون سبب، وهذا أمر لا يصدّقه عاقل.

ب- أن يكون هو الذي أوجد نفسه، فهذا يعني أنّه لا بدّ وأن يكون موجوداً قبل أن يوجد لكي يخلق نفسه، وهو مستحيل.

ج- أن يكون مخلوقاً لخالقٍ أعظم منه منزّه عن كلّ صفات المخلوقين، حيّ، عليم، قدير، وهو الله عزّ وجلّ، وهو الاحتمال الصحيح.

¹ سورة البقرة، الآية 164.

تمارين

1. أضع علامة ✓ أو ✗ أمام العبارات الآتية:

. لا يقبل الله عزَّ وجلَّ عملاً إلا بمعرفة.

. معرفة ذات الله ممكنة والسبيل إليها العقل فقط.

. وحدة الله تعني أن معرفة ذات الله ممكنة.

. وحدة الله تعني وحدة الخلق ووحدة المصير.

. معرفة الله تعالى تصحّ بالتقليد.

. معرفة الله تعالى لها آثار حقيقية في حياة الإنسان.

2. يقول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾. أذكر مثلاً من خلال التأمل في الآفاق أو التأمل في الأنفس يوصل إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ.

3. ما هو المقصود بالحديث الشريف المروي عن الإمام الباقر عليه السلام: "لا ينفع مع الشكَّ والجحود عمل"؟

4. مَنْ يكون؟ "... وعزّتي وجلالي، ما خلقت خلقاً أحسن منك، إيتاك أمر، وإيتاك أنهى، وإيتاك أئيب، وإيتاك أعاقب". (حديث قدسي)

الدرس الثاني: معرفة الله

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يتعرّف إلى طرق معرفة الله.
- 2- يستدلّ بالفطرة على وجود الله.
- 3- يستدلّ بالنظام الكوني على وجود الله.

طرق معرفة الله

لقد كُتبت كتب كثيرة من أقدم الأزمنة حتى اليوم وجرت بحوث ومساجلات عديدة بين العلماء والمفكرين حول معرفة الله. كل فريق من هؤلاء اختار للوصول إلى هذه الحقيقة طريقاً خاصاً غير أنّ أفضل الطرق وأسرعها في إيصالنا إلى مبدأ عالم الوجود طريقان اثنان:

1- طريق من الداخل: الفطرة.

2- طريق من الخارج: النظام الكوني.

نبدأ أولاً بالمرور في أعماقنا لكي نسمع نداء التوحيد من داخلنا، وفي المرحلة التالية نسيح في عالم الخليقة الشاسع لنطالع آيات الله في سيماء كل الموجودات وفي قلب كل الذرات.

الفطرة الإنسانية

إنّ أيّ شخص، مهما يكن عنصره وطبقته، إذا تُرك وشأنه، دون تعليم أو إرشاد، ودون أن يسمع آراء كلا المؤمنين والملحدين، فإنّه بذاته يتّجه نحو قوّة قادرة قاهرة ترتفع فوق المادّة وتحكّم الكون بأسره.

إنّ هذا الإنسان يحسّ أنّ في أعماق قلبه وزوايا نفسه نداءً لطيفاً مفعماً بالمحبّة والرحمة، ولكنّه في الوقت نفسه مكين وثابت، يدعوّه إلى المبدأ العظيم والقادر العليم الذي ندعوه: الله. ذلك هو نداء الفطرة الطاهرة!

ولكن قد ينحرف هذا الشخص مع التيار المادّي وحركة الحياة اليومية الزاخرة بالبهرجة والزينة، فينشغل بها وقتاً عن سماع ذلك النداء. ولكنّه عندما يجد نفسه تواجه الشدائد والمشكلات والمحن، وعندما تُهاجمه الحوادث الطبيعية المرعبة، كالسيول والزلازل والفيضانات ولحظات القلق في طائفة تتلاعب بها العواصف، نعم عندما تقصر يده عن الوصول إلى عون مادّي ولا يجد ملجأ يلوذ به، يقوى هذا النداء في داخله ويجسّ أنّ في كيانه قوّة تجتذبه نحوها، قوة هي فوق كل القوى، وقدره غامضة يسهل عليها حلّ جميع المشكلات بيسر وبساطة.

قليل جداً من الناس من لا يتّجه هذا الاتّجاه عند مواجهة الأزمات والشدائد، ولا يتدكّر الله دون اختيار. هذا الأمر هو الذي يدلّنا على مدى قربنا منه، ومدى قرينه منّا، بل إنّه في أرواحنا وضمائرنا. إنّ نداء الفطرة موجود دائماً في وجدان الإنسان، ولكنّه يقوى في هذه اللحظات.

فإذا رجعت إلى أعماق نفسك وجدت أنّ هناك نوراً يتلألأ في باطنك ويدعوك إلى الله. ولعلك قد صادفت في حياتك بعض الأزمات الشديدة والطرق المسدودة بحيث إنّك يئست من العثور على الحلّ والعلاج. ولا شكّ أنّك في مثل تلك الحالات قد خطرت لك حقيقة وجود قوّة قادرة في عالم الوجود تستطيع أن تحلّ مشكلتك بكلّ سهولة.

في تلك اللحظات تشعر أنّك قد احتواك أمل يُمازجه في داخلك حبّ ذلك المبدأ العظيم، وأنّ ذلك الأمل قد أزاح عن قلبك كلّ سُحب اليأس السوداء القائمة. نعم، هذا هو أقصر الطرق التي تبدأ من داخل المرء للوصول إلى الله، بارئء عالم الوجود القدير.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾¹.

¹ سورة العنكبوت، الآية 65.

النظام الكوني

بنظرة عابرة إلى هذا العالم الذي نعيش فيه، نُدرِك أنّ عالم الوجود هذا ليس فيه اضطراب ولا ارتباك، بل إنّ لجميع مظاهر الحياة خطأً معيناً تسير عليه، فهي أشبه بجيش ضخم مقسّم إلى وحدات منظمة وتحركّ جميعاً نحو هدف معين. والنقاط التالية تُزيل كل غموض عن هذا الموضوع:

1- لظهور كلِّ كائن ولبقائه حيّاً في هذا العالم لا بدّ من تضافر عدد من الظروف والقوانين الخاصّة لبلوغ ذلك الهدف. فمثلاً، لكي تظهر شجرة إلى عالم الوجود، لا بدّ من توفّر الأرض، والماء، والهواء المناسب، والحرارة اللازمة، لكي نزرع البذرة، فتتغدّى، وتنفس، وتخصّر وتنمو. فإذا لم تتوفّر هذه الأمور استحال ظهور النبتة ونموها إلى شجرة. وإنّ تهيئة هذه الظروف والشروط تتطلب عقلاً ومعرفة.

2- إنّ لكلِّ كائن خصائص يختصّ بها دون غيره. فإنّ لكلّ من الماء والنار خصائص لا تنفصل عنها وتتبع قوانين ثابتة.

3- جميع أعضاء الكائن الحي تتعاون فيما بينها، فحسب الإنسان تعمل أعضاؤه، بوعي أو بغير وعي، بانسجام تامّ بعضها مع بعض. فإذا ما واجه الجسم خطراً تأهّبت الأعضاء للدفاع. إنّ هذا الترابط والانسجام في العمل دليل آخر على وجود النظام في عالم الوجود.

4- إنّ نظرة واحدة إلى العالم تكشف لنا أنّ الترابط والانسجام والتعاون في العمل ليست مقتصرة على أعضاء الجسم الواحد، بل إنّ مختلف كائنات العالم تتعاون فيما بينها، فلبقاء الكائنات تطلع الشمس، وينزل المطر، وتهبّ الرياح، وتتضافر معها الأرض ومنابعها لهذا الهدف. وهذا دليل وجود نظام معيّن يشمل عالم الوجود كلّّه.

العلاقة بين "العقل" و "النظام"

كلّ امرئ لا بدّ أن يتعرّف في نفسه بأنّ النظام حيثما ظهر كان دليلاً على أنّ وراءه عقلاً مفكراً وتخطيطاً وهدفاً. فحيثما شاهد الإنسان نظاماً ثابتاً وقوانين معيّنة أدرك أنّ هناك وراء ذلك مصدراً للعلم والقدرة، وهو في هذا الإدراك الوجداني ليس محتاجاً إلى الاستدلال حاجة كبيرة.

إنّه يعرف أن إنساناً أقيماً أعمى ليس قادراً على أن يضرب على الآلة الكاتبة مقالة اجتماعية جيدة أو نقداً أدبياً، مثلاً، أو أنّ طفلاً في الثانية من عمره لا يمكن له بإمرار قلمه على الورق عشوائياً أن يرسم لوحة جميلة قيّمة. إنّنا إذا طالعنا إنشاءً جيداً أو مقالة رائعة أدركنا فوراً أنّ كاتبها إنسان مثقف متميز بالذكاء والعقل. كذلك إذا شاهدنا في متحف لوحة جميلة جذابة لا نشكّ لحظة في أنّ الذي رسمها كان فنّاناً ماهراً، على الرغم من أنّنا لم نر ذلك الفنّان بشخصه.

بناءً على ذلك حيثما رأينا جهازاً منظماً علمنا أنّ معه عقلاً وذكاءً. وكلّما كان ذلك الجهاز أكبر وأدقّ وأروع كان العقل والعلم اللذين أوجدها أكبر وأعظم كذلك.

وإنّه لمن حسن الحظّ أن نجد أنّ تقدّم العلوم الطبيعة والكشف عن أسرار عالم الطبيعة وعجائبه ودقائق خلق الإنسان والحيوان والنبات، وبناء الخليّة والذرّة العجيب، ونظام المنظومات الشمسية والنجوم المخير للعقول كلّها قد فتحت أبواب معرفة الله أمامنا بحيث نستطيع أن نقول بكل جرأة وثقة بأنّ جميع كتب العلوم الطبيعية، هي كتب في التوحيد ومعرفة الله، وأنّها تُلقني علينا دروساً في عظمة الله الخالق، وذلك لأنّ هذه الكتب تزيح الستار عن نظام الخلق المدهش في هذا العالم، وتدلّنا على مدى عظمة خالق هذا الكون وقدرته.

يقول القرآن الكريم: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾¹.

¹ سورة فصلت، الآية 53.

تمارين

1- أعرّف الفطرة الإنسانية، مع ذكر آية قرآنية على وجودها:

2- أضع ✓ أو ✗ أمام العبارات الآتية:

- إنَّ الطرق لمعرفة الله كثيرة ومختلفة باختلاف الناس.

- إنَّ الفطرة الإنسانية قوّة تجذب الإنسان نحو التمسك بخالفه.

- النظام الكوني لا يدلّ مباشرة على وجود الخالق لهذا الكون.

- إنَّ الكون بجميع أجزائه يحكمه ترابط وانسجام قوي يكشف عن وجود خالق له.

- إنَّ تعدّد المظاهر الكونية وتنوّعها يؤدّي إلى تعدّد الخالق والمدبّر وتنوّعه.

3- ما هو المقصود بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

4- أوضّح العلاقة القائمة بين العقل ووجود النظام في الكون؟

5- أستدلّ على وجود الخالق لهذا الكون من خلال النظام الكوني؟

الدرس الثالث: التوحيد ومراتبه

الأهداف

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يتعرف إلى معنى التوحيد.
- 2- يفهم مراتب التوحيد.
- 3- يشرح أدلة التوحيد.

التوحيد أول الأصول

الأصل الأول من أصول الدين هو التوحيد، أي الإيمان بأن الله عزّ وجلّ واحد لا شريك له.

وهذا هو أصل كافة الأصول، والشهادة بتوحيد الله هي المدخل إلى الإسلام.

إننا نلتق في كلّ يوم، بكلمة التوحيد، فنقول: لا إله إلا الله. وهذه الكلمة تُشكّل جزءاً أساسياً من معتقدنا الذي نؤمن به بقلوبنا وعقولنا، إنّه نفي لأيّ شريكٍ لله عزّ وجلّ في الألوهية، فلا إله غيره وهذا إقرار بألوهيته عزّ وجلّ وحده.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾¹.

ولكن، ما هو معنى التوحيد؟ وهل للتوحيد جهة واحدة؟ أو أنّه يشمل جهات متعدّدة؟ ويرتبط بمعانٍ متعدّدة يجب علينا أن نستحضرها؟

معنى التوحيد

التوحيد هو الاعتقاد بأنّ الله تعالى واحدٌ، لا شريك له، ولا شبيهه ولا مثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾²، وهذا المعنى يُقابل الشرك والاعتقاد بالهين أو آلهة متعدّدة.

¹ سورة النساء، الآية 48.

² سورة الشورى، الآية 11.

مراتب التوحيد

حتى نصل إلى تمام التوحيد، ونتيقن بأننا قد أخلصنا عقيدتنا لله عزّ وجلّ، لا بدّ وأن نتعرّف إلى مراتب التوحيد:

أولاً: التوحيد في الذات:

قد أصف شيئاً ما بأنه واحد، فأقول: الشمس واحدة، ولكن لا مانع إطلاقاً، من أن افترض وجود شمسين أو ثلاثة، ولكن في الخارج، لا أجد إلا شمساً واحدة.

وقد أصف موجوداً ما بأنه واحد، فأقول: الله واحد، ومُرادي بذلك أنه لا يمكن أن افترض وجوداً آخر مثله، فالأمر مستحيل حتى فرضاً، وهذا هو معنى التوحيد في الذات.

فالله عزّ وجلّ واحد في ذاته، لا يمكن أن تفترض شبيهاً له، ولا نظيراً، ولا عديلاً ولا مثيلاً.

وتختصر الآية الكريمة، التوحيد الذاتي، حيث تقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فلا يمكن، أن تفترض لله عزّ وجلّ شبيهاً في ذاته وألوهيته.

الدليل على التوحيد الذاتي:

من الوسائل التي تتمكّن من خلالها نفي وجود شيء، أن تنفي وجود أيّ أثر له، متى كان ذلك الأثر ملازماً له، لا ينفك عنه. أي استدلال بعدم وجود الأثر، على عدم وجود المؤثر.

وهذه الطريقة، هي التي نستخدمها لإثبات التوحيد الذاتي، فلو كان هناك إله غير الله عزّ وجلّ، فلا بدّ وأن يكون له أثر ملازم، وهو بعثة أنبياء ورسول من عنده، لدعوة الناس إلى طاعته وعبادته، ولكن لا نجد أنّ هناك أنبياء دعوا إلى عبادة غير الإله الواحد الأحد، فعدم وجود أنبياء لغير الله، دليل على عدم وجود إله آخر.

وتعبير آخر: لو كان لله عزّ وجلّ شريك للزم أن يكون الأنبياء فريقين، كلُّ فريق

يدعو إلى أحد هذين الإلهين، ولكننا نجد أنّ الأنبياء كلهم يدعون إلى إله واحد، فلو كان هناك إله آخر، فأين هم أنبياءه الذين يدعون الناس إليه؟!

هذا الدليل، جاء ذكره في نهج البلاغة، في وصية الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام حيث يقول: "وَاعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكَ لَأْتَتَكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أفعالَهُ وَصِفَاتَهُ، وَلَكِنَّهُ إلهٌ وَاحِدٌ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ"¹.

ثانياً: التوحيد في الخالقية:

الخلق هو فعل من الأفعال مختصّ بالله عزّ وجلّ على نحو الاستقلال، فالله هو وحده الخالق للسموات والأرض، قال تعالى: ﴿قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾².

إذا آمن أحد من الناس، بأنّ الله عزّ وجلّ واحدٌ ذاتاً، ولكنّه آمن بأنّ الخلق يصدر من غير الله، مستقلاً ومن دون أن يرجع هذا الفعل إلى إذن الله تعالى وإرادته فهو مشركٌ في الخالقية.

الدليل على التوحيد في الخالقية:

إنّ التأمل في المخلوقات، يكفي للشهادة على أنّ خالقها واحد، لما بينها من ارتباط وتنسيق وانسجام، ولو كان هناك إله آخر، لكان ينبغي لنا، أن نشهد وجود مخلوقات أخرى ذات نظام مستقلّ.

إنّ وجدان أيّ إنسان يشهد بأنّ الخالق، لا يمكن أن يكون متعدداً لأنّ نظام الكون والوجود واحد وغير متعدّد. وهذا لسان المشركين أنفسهم، يُجيب صراحة إذا ما سُئِلوا عن الخالق جلّ وعلا بالقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾³.

¹ السيّد الرضوي، نهج البلاغة، وصية الإمام لولده الحسن عليهما السلام، الكتاب 31.

² سورة الرعد، الآية 16.

³ سورة لقمان، الآية 25.

ثالثاً: التوحيد في الربوبية:

إنّ "الرب" هو المدبّر، الذي يكون بيده تدبير الأمور مباشرة أو بواسطة، فالأب هو ربّ الأسرة، لأنّه المدبّر لشؤونها، مباشرة، أو بواسطة.

لم ينكر المشركون في زمن الرسالة، التوحيد في الذات أو التوحيد في الخالقية، ولكنهم أنكروا التوحيد في الربوبية، حيث اعتقد هؤلاء بأنّ مدبّراً آخر غير الله عزّ وجلّ كالأصنام التي كانوا يعبدونها، هي التي تقوم بتدبير أمور السموات والأرض، من الرزق، إلى النَّصر في الحرب، والموت وغير ذلك. ومثال ذلك ما ذكره القرآن الكريم في قصة النبي يوسف عليه السلام الذي ينكر على صاحبيه في السجن إيمانهم بوجود أكثر من ربّ: ﴿أَرَأَيْتَ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ¹

الدليل على التوحيد في الربوبية:

إنّ أهمّ دليل على توحيد الله في الربوبية، هو دليل وحدة النظام أيضاً وهو على النحو التالي:
أولاً: يتحرّك النظام الكونيّ بدقّة متناهية لا خلل فيه. بل كلّما ازددنا تأملاً في هذا الكون، ازددنا يقيناً بمدى الدقّة، التي يسير عليها هذا الكون.

ثانياً: لو كان للعالم أكثر من مدبّر، لاختلف تدبيرهم، ولحصل الاختلاف بينهم، ولظهرت آثار ذلك في هذا النظام.

- وفي النتيجة يمكننا القول: إنّ وحدة النظام الكونيّ دليل على وحدة المنظّم لهذا الكون. قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا².

رابعاً: التوحيد في العبادة:

يكترز المسلم، في كلّ مرّة يقرأ فيها سورة الفاتحة، القول مخاطباً الله عزّ وجلّ:

¹ سورة يوسف، الآية 39.

² سورة الأنبياء، الآية 22.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فما هو المراد من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؟ إنَّ من يستحقُّ أن تتوجَّه إليه بالعبادة (من الصَّلَاة والصَّوم وغيرهما)، وأن تطيعه ولا تطيع أحداً غيره هو الله عزَّ وجلَّ.

إنَّ معنى توحيدِه في العبادة، هو أن لا تأتي بأيِّ عمل وأنت تريد بذلك الخضوع والخشوع العبادي لغير الله، بل يكون خضوعك وعبادتك لله وحده فقط.

الدليل على التوحيد في العبادة:

إذا كنت مؤمناً بمراتب التوحيد السابقة، أي كنت ممن يعتقد بأنَّ الله عزَّ وجلَّ واحد لا شريك له، ولا خالق غيره، ولا مدبِّر إلا هو، وأنَّ بيده أمورك كلِّها، فكيف تعبد غيره؟
إنَّ النتيجة الطبيعيَّة للتوحيد في المراتب السابقة، هي أن يكون الإنسان موحداً لله عزَّ وجلَّ في العبادة.
قال تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُحَمَاءَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾¹.

ويفسِّر الإمام الصَّادق عليه السلام الآية الكريمة بقوله: "أما والله ما دَعَوْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَلَوْ دَعَوْهُمْ مَا أَجَابُوهُمْ، وَلَكِنْ أَحَلَّوْا لَهُمْ حَرَاماً، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ حَلَالاً فَعَبَدُوهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ"².

¹ سورة التوبة، الآية 31.

² الشيخ الكليني، الكافي، ج 1، ص 53.

تمارين

1- أعرّف معنى التوحيد الذاتي، وأذكر دليلاً قرآنيّاً عليه:

2- أضع ✓ أو ✗ أمام العبارات الآتية:

. التوحيد في الألوهيّة أمر فطري.

. الألوهيّة تستلزم الربوبية.

. كمال توحيد الله نفي الصفات عنه.

. الكفّار هم الذين جعلوا لله تعالى ولداً.

. المشركون هم الذين أنكروا التوحيد في الخالقية.

3. ما المقصود بالحديث المرويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام: "لو كان لربّك شريك، لأتتكَ رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه"؟

4. أذكر دليلاً على مراتب التوحيد:

5. من يكون؟ "سيدّ الموحّدين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان يحبّ سورة قرآنية كثيراً، وكان يقرؤها في كلّ صلاة، لأنها تتضمّن عقيدة التوحيد":

الدرس الرابع: العدل الإلهي

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يحدّد معنى العدل ومعنى الظلم وأسبابه.
- 2- يتبيّن عدالة الله وتنزيهه عن الظلم.
- 3- يميّز بين العدل والمساواة.

معنى العدل

نستخدم كلمة العدل في معنيين هما:

أ- العدل بمعنى وضع الأمور في مواضعها، فالعادل هو الذي يضع كل شيء في مكانه وزمانه المناسبين له، فالظلم هنا بمعنى وضع الشيء في غير موضعه.

ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "بِالْعَدْلِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ"¹.

ب- العدل بمعنى إعطاء كل ذي حق حقه: وذلك لأننا نؤمن بأن الله تعالى جعل لكل مخلوق في هذا الكون حقوقاً، لا يحق لأحد من الناس أن يسلب عنه تلك الحقوق، أو أن يمنع من الوصول إليها. والعادل هو الذي يعطي الحق لصاحبه، ويقابله الظالم، وهو الذي يمنع غيره من الوصول إلى حقه أو يسلبه منه.

لو تأملنا شيئاً ما في تعريف العدل بالمعنى الأول، لتوصلنا إلى أنّ العدل هنا، يرجع إلى معنى الحكمة، وذلك لأنّ الحكيم هو الذي يضع الأمور في مواضعها.

الفرق بين العدل والمساواة

يتصوّر الكثير من الناس، أنّ العدل هو أن أعطي كل واحد كما أعطي غيره، فتكون الحصص متساوية للجميع، لا أفضل أحداً على أحدٍ، ولا أعطي أحداً أكثر من أحدٍ.

ولكنّ هذه صورة خاطئة، لأنّ هذا ما يُطلق عليه المساواة، ولا يُطلق عليه العدل.

ويكفي لكي ندرك الفارق بينهما، أن نلاحظ أنّ الناس تختلف من حيث الاستحقاقات، فما يستحقونه ليس دائماً بنحو التساوي، فالذي يكّد ويتعب ويبدل الجهد في دراسته، يستحق ما لا

¹ ابن أبي جمهور الأحسائي، عوالي اللغالي، ج 4، ص 103.

يستحقّه الذي يكون كسولاً مسوّفاً مقصراً.

ولو أنّ المعلّم أعطى هذين علامة واحدة، وكافأهما بنحو واحد، فلن يكون هذا عدلاً، ولكنّه مساواة، لأنّه ساوى بينهما، ولم يعدل بينهما، لأنّ ما يستحقّه المجدّد، أكثر مما يستحقّه المقصّر.

ولذا، يمكننا القول إنّ العدل والمساواة قد يجتمعان في مورد واحد، كما لو أُعطيَ شخص ما يستحقّه، وكان ما يستحقّه، مساوياً لما يستحقّه الآخر.

وقد يكون هناك عدل ولا مساواة، كما لو أُعطيَ كلُّ شخصٍ ما يستحقّه، وكانت الاستحقاقات مختلفة، فبعضهم يستحقّ ما هو أكثر مما يستحقّه الآخر.

وقد يكون هناك مساواة ولا عدل، كما لو أُعطيَت الجميع حصصاً واحدة، مع أنّ بعضهم يستحقّ ولأسباب متعدّدة، نصيباً أكثر.

الله عادل بحسب كل المعاني

عندما نصفُ الله عزّ وجلّ بأته عادل، فهو عادلٌ بكلا المعنيين أي:

- أنّ الله عزّ وجلّ عادل، يضع كلّ أمر في موضعه؛ لأنّه حكيم خبير، والحكيم لا يضع شيئاً في غير موضعه.

- والله عزّ وجلّ عادل، أي يعطي كلّ ذي حقّ حقه، فهو لا يعطي الجميع بالتساوي؛ لأنّه قد يكون ظلماً، بل يعطي بحسب الاستحقاق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾¹، وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾².

¹ سورة النساء، الآية 40.

² سورة يونس، الآية 44.

الدليل على العدل الإلهي

عندما نريد إثبات العدل الإلهي، فذلك بمعنى نفي الظلم عن الله عزّ وجلّ، والطريق الواضح لإثبات العدل الإلهي، هو أن نبحث عن الأسباب التي تدعو إلى الظلم، فإذا كانت هذه الأسباب منتفية، بل غير متصوّرة في حقّ الله عزّ وجلّ، فهذا يعني أنّه لا يصدر منه الظلم.

ويعود السبب في ممارسة الظلم ومخالفة العدل إلى واحد من الأمور التالية:

1- الجهل: أي إذا كان الشخص لا يعرف كيف يكون عادلاً فإنّه سوف يقع في الظلم، فالقاضي إذا كان جاهلاً فإنّه سوف يظلم الناس بسبب جهله.

2- الحاجة إلى ممارسة الظلم: قد يرغب الإنسان بشيء ويحتاج إليه، ولكنّه لا يملك وسيلة مشروعّة للوصول إليه، فيلجأ إلى أن يظلم في سبيل تحقيق ذلك.

3- عدم الحكمة: أي إنّه يفعل الظلم ولا يبالي بأنّ ما يفعله هل هو من الظلم أم لا.

هذه الأسباب الثلاثة لا تتصوّرها في حقّ الله عزّ وجلّ:

أمّا الأول أي الجهل، فلأنّ الله عزّ وجلّ بكلّ شيء عليم، ودليل ثبوت هذا العلم لله عزّ وجلّ؛ التأمّل في نظام الكون، فإنّ من خلق خلقاً بهذه الدقّة المتناهية لا بدّ وأن يكون عليمًا بكلّ شيء.

ترشدنا الآية الكريمة إلى هذا الدليل، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾¹.

والله عزّ وجلّ لا يغيّب عنه شيء فهو حاضر في كلّ مكان وفي كلّ زمان، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَوَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾².

¹ سورة البقرة، الآية 29.

² سورة البقرة، الآية 115.

أما الثاني، أي الحاجة، فهو أيضاً غير متصوّر في حقّ الله عزّ وجلّ؛ لأنّ هذه الحاجة، إمّا أن تكون إلى خالق مثله أو إلى المخلوق.

والأوّل غير ممكن، لما أثبتناه في باب التوحيد، من أنّ فرض وجود شريك له هو فرض للمحال.

والثاني غير ممكن، لأنّ الخالق غيبيّ عن المخلوقين، فإنّ كلّ ما لدى المخلوق هو من خالقه فكيف يحتاج المخلوق إلى خالقه؟

أما الثالث، أي عدم الحكمة، فالله عزّ وجلّ حكيم، يشهد لذلك التأمل في خلق السموات والأرض، فإنّها كلّها أفعال صادرة من الله عزّ وجلّ، وهي في غاية الدقّة، وتدلّ بوضوح على مدى حكمة فاعلها، وقد تكرّر في القرآن الكريم وصف الله عزّ وجلّ بأنّه حكيم عليم، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾¹.

¹ سورة النساء، الآية 26.

تمارين

1. أعرّف معنى كلّ من:

----- العدالة:

----- المساواة:

2. أضع علامة ✓ أو ✗ أمام العبارات الآتية:

. العدل هو أصل من أصول الدين الإسلاميّ.

. العدل من الصفات الثبوتية لله عزّ وجلّ.

. العدل والمساواة لا يجتمعان في مورد واحد.

. إنّ صفة العدالة تستلزم صفات العلم والحكمة والغنى.

. بالعدل قامت السماوات والأرض.

3. أستعين بالمصحف الشريف، وأكتب آيتين كريمتين تتحدّثان عن:

. عدل الله تعالى:

. رفض الظلم:

4. من دعاء السحر:

"إلهي إنّ عفوت فمن أولى منك بالعمو، وإنّ عذّبت فمن أعدل منك في الحكم" اشرح مفهوم العدل الإلهيّ.

الدرس الخامس: النبوة ودور الأنبياء عليهم السلام

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يتبين معنى النبوة ودور الأنبياء عليهم السلام في المجتمعات.
- 2- يستدل على ضرورة النبوة.
- 3- يسمي مواصفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشروط النبوة.

معنى النبوة

نستعمل اليوم كلمة أنباء، ونريد بذلك الأخبار، فنشرة الأنباء، هي نشرة الأخبار، التي يطلع من خلالها الإنسان على الأحداث المحيطة به، فالنبا هو الخبر.

ومفردة النبي هي أيضاً تُستعمل بهذا المعنى، ولكنّ الخبر الذي يُخبر به النبي مُختلف، لأنّه إخبار عن السماء أو قل هو إخبار عن الله العظيم المتعال.

وذلك أنّ الإنسان لما كان بحاجة إلى من يُظهر له الطريق لِيَسْلُكَهَا إلى ربّه وكان عاجزاً عن معرفة الطريق بنفسه، وكان عاجزاً عن الاتصال بالله عزّ وجلّ، كان لا بدّ له من واسطة تؤمّن له هذا الاتصال، وهذه الواسطة هي النبيّ.

ووظيفة النبيّ، هي أن يخبر الناس بما يريد الله عزّ وجلّ منهم، من أوامر ونواهي، ويحثّهم على معرفة الله.

دور الأنبياء عليهم السلام

إذا أردنا أن نختصر دور الأنبياء، فيمكن القول بأنّ دورهم هداية الناس إلى السعادة الحقيقيّة، والكمال الإنسانيّ.

وهذه السعادة، ترتبط بالدنيا والآخرة، ولذا كان إرشاد الناس إلى ما فيه كمالهم الروحيّ والمعنويّ هدفاً من الأهداف، وكذلك إرشادهم إلى القوانين المنظّمة لحياتهم الدنيويّة.

وهذا الدور يقوم به الأنبياء عليهم السلام من خلال:

1- الدعوة إلى توحيد الله:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾¹.

وفي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: "لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقَرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثَبِّتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ"².

2. تعليم الناس المعارف الإلهية وتركية النفوس وتربيتها:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾³.

3. إقامة القسط في المجتمع البشري:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾⁴. وإقامة العدل بين الناس كما تتوقف على معرفة العدل، تتوقف أيضاً، على تحقيق ذلك بين الناس، ووظيفة الأنبياء عليهم السلام هي القيام بكلا الأمرين، فكما أنه عليهم إرشاد الناس إلى العدل، فإنّ عليهم أيضاً إقامة حكومة العدل.

وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾⁵.

¹ سورة النحل، الآية 36.

² السيّد الرضوي، مخج البلاغة، الخطبة 147.

³ سورة الجمعة، الآية 2.

⁴ سورة الحديد، الآية 25.

⁵ سورة البقرة، الآية 213.

فلننبي الكلمة الفصل فيما يختلف فيه الناس، سواء كان ذلك في الأمور الخاصة، أم في الأمور العامة من سياسية واجتماعية وغيرها...

4- إتمام الحجّة على العباد:

قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾¹.

وذلك لأنّ الإنسان سيُحاسَب في يوم القيامة، على كلّ فعلٍ قام به، ولا يمكن محاسبة الجاهل الذي لم يطلع على شيء من أحكام الله، أمّا بعد إرسال الرسل، فإنّ الحجّة تتمّ على العباد، لأنّ الحساب الإلهي لا يكون إلّا بعد بيان الحقّ لهم. يقول تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾².

الدليل على النبوّة

لكي تُثبت الدليل على ضرورة بعثة الأنبياء لا بدّ وأن نعتد الخطوات التالية:

أ- إنّ من صفات الله عزّ وجلّ، أنّه حكيم، والحكيم هو الذي لا يفعل فعلاً عبثاً، وبلا غاية، فكلّ فعل يصدر منه يكون لغاية، ومن ذلك خلق الإنسان.

ب- إنّ الهدف من خلق الإنسان هو وصول الإنسان إلى كماله المنشود.

ج- الإنسان عاجز بمفرده عن الوصول إلى طريق كماله، لأنّه لا يملك الأدوات الكافية لذلك، ولذا كان الاختلاف الشديد بين الناس في تحديد ذلك الطريق.

د- لا بدّ للإنسان، من هداية تأتيه من السماء وترشده إلى ما فيه صلاحه وهداه، وطريق كماله.

¹ سورة النساء، الآية 165.

² سورة الإسراء، الآية 15.

صفات لا بد للنبي أن يتحلّى بها

لا يمكن لكل إنسان أن يصل إلى مقام النبوة، لأنّ هذا المقام لا يصل إليه إلا من تتوفّر فيه بعض الشروط والصفات الخاصة، منها:

1- الكمال العقلي، فلا بدّ وأن يكون النبي أكمل قومه عقلاً.

2- الصفات اللازمة للتبليغ وهداية الناس وإرشادهم، كحسن التدبير والإدارة، والشجاعة والصبر.

3- العصمة عن ارتكاب المعاصي، وذلك لأنّ الناس لا تثق بشخص يرتكب المعصية، فإنّ من يرتكب الذنب قد يكذب في بيان المعارف الإلهية فيُضلّ الناس ولا تتحقّق الهداية التي هي الغرض من بعثة النبي، كما أنّه لا يصلح أن يكون قدوة لهم.

4- العصمة عن الخطأ والنسيان، لأنّ الإنسان الذي يخطئ وينسى، يُحتمل أن يقع ذلك منه في بيان المعارف الإلهية فلا يثق به الناس.

ولذا وصف الله عزّ وجلّ الأنبياء بأنهم مصطفون: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾¹.

¹ سورة آل عمران، الآيات 33 و 34.

تمارين

1. أعرّف معنى النبوة:

2. أبين دور الأنبياء عليهم السلام:

3. أضع علامة ✓ أو ✗ أمام التعابير الآتية:

. الأنبياء عليهم السلام هم الأمناء على القوانين الإلهية.

. دور الأنبياء عليهم السلام هو إرشاد الناس إلى سعادتهم الدنيوية.

. الهدف من خلق الإنسان هو وصوله إلى كماله المنشود.

. الشريعة والنظام أساس الحياة الصالحة.

. المعجزة هي فعل خارق لعادة البشر.

4. أذكر صفات يتحلّى بها الأنبياء عليهم السلام:

الدرس السادس: نبوة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يتثبت نبوة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ويستدلّ عليها.
- 2- يحدّد وجوه الإعجاز القرآنيّ.
- 3- يفسّر خلود المعجزة القرآنيّة.

تمهيد

لقد كانت الحاجة إلى إرسال الأنبياء على الدوام، وذلك لما كانت تتعرض له رسالات الأنبياء عليهم السلام من التحريف والتبديل، ولذا كان لا بد من أن يبعث الله عز وجل في جزيرة العرب نبياً، هادياً، بشيراً ونذيراً وهو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾¹.

الدليل على نبوة رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم
يمكن إثبات نبوة النبي بطريقتين:

أحدهما: إخبار النبي السابق، وقد أخبر عيسى عليه السلام بنبي يأتي من بعده اسمه أحمد، كما ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾².

ثانيهما: المعجزة التي كانت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومعجزة نبي الإسلام تختلف عن معاجز سائر الأنبياء؛ فهي معجزة خالدة، ما تزال إلى اليوم تشهد على نبوة هذا النبي، وهي القرآن الكريم.

¹ سورة الجمعة، الآية 2.

² سورة الصف، الآية 6.

وقد تحدى الله عز وجلّ الناس، أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾¹.

بل تحداهم بالإتيان بعشر سور مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾².

وكذلك، تحداهم بالإتيان بسورة من مثله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَاذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾³.
وجوه إعجاز القرآن

في القرآن وجوه كثيرة من الإعجاز، وكلما تقدّم الزمن اكتشف الإنسان وجوهاً من إعجازه ومن هذه الوجوه:

1- البلاغة والفصاحة، فقد اعترف العرب، وأقرّوا بعجزهم عن الوصول إلى فصاحة القرآن وبلاغته.

2- الأخبار المتعلقة بأقوام سابقين، كأصحاب الكهف، وقصة سبأ، وذي القرنين، والعبد الصالح عليه السلام (الخضر).

3- الأخبار الغيبية المتعلقة بالمستقبل، كقصة الروم: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾⁴

4. هناك آيات كثيرة تشير إلى اكتشافات علمية متقدّمة.

¹ سورة الإسراء، الآية 88.

² سورة هود، الآية 13.

³ سورة البقرة، الآية 23.

⁴ سورة الروم، الآيتان 2 و3.

5- عدم وجود التهافت والاختلاف بين آياته: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾¹.

3. النبوة الخاتمة

لماذا ختمت النبوة بنبوة النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟
الجواب واضح لأن الإسلام الدين الخالد إلى يوم القيامة، ونبي الإسلام خاتم الأنبياء فلا نبي بعده.

أولاً: خطاب القرآن كان خطاباً عاماً، يشمل البشر إلى يوم القيامة فنجد فيه قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾.

ثانياً: إن القرآن وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه خاتم النبيين، يقول تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾² ولذا ورد عنه قوله مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام: "أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي"³.

ثالثاً: لشمولية الإسلام وكماله، فأحكامه شاملة لكل ما يحتاجه البشر ولا حاجة لأحكام جديدة.

¹ سورة النساء، الآية 82.

² سورة الأحزاب، الآية 40.

³ الشيخ الكليني، الكافي، ج 8، ص 26.

تمارين

1. أبين هدف بعثة نبي الإسلام من خلال ذكر آية قرآنية:

2. يقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، أذكر الصفات التي يتحلّى بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

3. أضع علامة ✓ أو ✗ أمام التعابير الآتية:

. ذُكر في القرآن الكريم أنّ إبراهيم عليه السلام بشرّ بالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

. معجزة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كانت القرآن.

. تحدّى الله عزّ وجلّ الإنس والجن بأن يأتيوا بآية واحدة شبيهة بأيّ القرآن.

. خطاب القرآن كان خطاباً خاصّاً.

. الإسلام دين كامل وشامل لكلّ ما يحتاجه البشر.

4. أذكر وجوه إعجاز القرآن الكريم:

5. أذكر دليلاً على خلود دين الإسلام:

الدرس السابع: شمولية الإسلام وعالميته

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يتعرّف إلى مفهوم شمولية الإسلام.
- 2- يفسّر كمال خاتمية الرسالة.
- 3- يبيّن ضرورة وجود الحاكم والحكومة الإسلامية.

الرسالة الخاتمة الكاملة

خصّ الله عزّ وجلّ شريعة الإسلام من بين الشرائع السماويّة، بأن جعلها خاتمة الشرائع والرسالات، فلا شريعة بعدها ولا رسالة. وهذه الخصوصية تتميّز بأمرين أساسيين:

1- أنها كاملة: فهي شريعة لاحظت في تشريعها كلّ ما يحتاج إليه الإنسان، وكلّ ما يواجهه من أمور في كافّة مراحل حياته. حيث وضع الله عزّ وجلّ للإنسان نظاماً يسير عليه في حياته الشخصية على مستوى علاقته بالباري عزّ وجلّ وعلاقاته الاجتماعيّة، وحدّد له مجالات هذه العلاقة سواء في ما يرتبط بعائلته ومجتمعه، أو فيما يرتبط بالسياسة والاقتصاد وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾¹.

وقال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾².

2- أنها عالميّة وشاملة أبدية: إنّ معنى كون رسالة الإسلام خاتمة الرسالات، هو أنّها جاءت للبشر كافة، فلم تأت لقوم بعينهم ولا لجماعة خاصّة، بل هي لجميع الناس مهما تعدّدت ألوّانهم وأعراقهم. قال تعالى ﴿ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ﴾³، وهذه الشموليّة تنطبق بطريق أولى على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وفي آية أخرى: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾⁴ و ﴿رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾⁵.

¹ سورة المائدة، الآية 3.

² سورة الأنعام، الآية 38.

³ سورة الأنعام، الآية 90.

⁴ سورة المدثر، الآية 36.

⁵ سورة الأنبياء، الآية 107.

وكذلك هي رسالة أبدية تصلح لتنظيم حياة الإنسان إلى يوم القيامة، مهما تطوّر هذا الإنسان وارتقى في حضارته وصناعته فإنّ شريعة الإسلام تواكبه في هذا كلّها، عن الباقر عليه السلام: "قال جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أيّها الناس حلالي حلالٌ إلى يوم القيامة، وحرامي حرامٌ إلى يوم القيامة"¹.

أحكام الإسلام

ينطوي النظام الإسلامي على مجموعة من الأحكام، فنظام العقوبات مثلاً تكفّلته أحكام الحدود والقصاص، ونظام الدفاع تكفّلته أحكام الجهاد، ونظام الإقتصاد تكفّلته أحكام المعاملات من البيع والإجارة وغيرها... هذا عدا عمّا تضمّنته أحكام الإسلام من قوانين وتشريعات، ما يدفعنا إلى بيان كيفية تطبيق هذه الأحكام، والطرق التي ينبغي اعتمادها لتصير هذه الأحكام واقعاً يحتكم إليه الناس ويعيشون في ظلّه.

1- قيام الحكومة الإسلامية:

مما تقدّم يتبيّن أنّ الإسلام دين شرّعه الله لكافة الناس في كلّ زمانٍ ومكانٍ، وفي كافة نواحي الحياة، وهذا يتطلب أداة تنفيذية لتطبيق هذه الأحكام، ولا يتحقّق ذلك إلا بقيام الحكومة الإسلامية التي تنبثق من روح الإسلام.

وفي هذا المجال، يقول الإمام الخميني قدس سره: "مجموعة القوانين لا تكفي لإصلاح المجتمع، ولكي يكون القانون مادّة لإصلاح وإسعاد البشر فإنّه يحتاج إلى السلطة التنفيذية، لذا فإنّ الله عزّ وجلّ قد جعل في الأرض إلى جانب مجموعة القوانين حكومةً وجهازاً تنفيذياً وإدارة، والرسول الأعظم كان يترأس جميع أجهزة التنفيذ في إدارة المجتمع الإسلامي... والحقّ إنّ القوانين والأنظمة الاجتماعية بحاجة إلى منفذ".

¹ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج27، ص169.

وقد وردت الآيات تحثّ الناس على إحياء أحكام الإسلام:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾¹.

وورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ساعةُ إمامٍ عادِلٍ أفضلُ من عبادةِ سبعينَ سنةً، وحدُّ يُقامُ لله في الأرضِ أفضلُ من مطرٍ أربعينَ صباحاً"².

2- وجود الحاكم ضرورة:

تُعتبر الحاجة الإنسانية الثابتة العامل الأساسي لضرورة وجود قانون وحكومة، وهذه الحاجة تنشأ بملاحظة طبيعة الإنسان التي تدعوه ليعيش مع أخيه الإنسان، فيُغديه ويستفيد منه. ولكنّ الإنسان بما يحمل من ميول وغرائز، من قبيل حبّ الذات والمال والجاه والميل مع رغباته وشهواته، وإطلاق العنان لهواه في أحيانٍ كثيرة، يؤدي إلى الاختلاف والتعارض بين ما يريد هو وما يريد الآخرون، ولأجل حلّ هذا التعارض والاختلاف لا بدّ من وجود مرجعية يتم الاحتكام إليها والخضوع لها، وتتمثّل هذه المرجعية في "القانون"، الذي ينبغي أن يحمل في نصوصه العدالة لجميع الناس، عبر إعطاء كلّ ذي حقّ حقه.

وإذا كان القانون يشكّل ضرورةً لبي البشر، فإنّ وجود الحاكم يمثّل أيضاً ضرورة لضمان تطبيق هذا القانون لإدارة شؤون الناس وتحقيق العدالة في ما بينهم.

وفي هذا المجال ورد العديد من الأحاديث والروايات، ففي نهج البلاغة أنّ عليّاً عليه السلام لما سمع مقولة الخوارج: "لا حكم إلا لله"، قال: "كلمة حقّ يرادُ بها باطل، نعم إنّهُ لا حكم إلا لله، ولكنّ هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله، وأنّه لا بدّ للناس من أميرٍ برٍّ أو فاجرٍ، يعمل في أمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل

¹ سورة الحج، الآية 41.

² الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج18، ص308.

ويجمعُ به الفياء، ويُقاتلُ به العدوَّ وتأمُنُ به السُّبُلُ ويُؤخَذُ به للضعيفِ من القويِّ حتى يستريحَ برٌّ ويستراحَ من فاجرٍ"¹.

وفي رواية الفضل بن شاذان عن الإمام الرضا عليه السلام لما سأله: "فلم جعل أولي الأمر وأمر بطاعتهم؟" قال: "إنَّ الخلقَ لما وقفوا على حدِّ محدودٍ وأمروا أن لا يتعدوا ذلك الحدَّ لما فيه من فسادهم، لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلا بأن يجعلَ عليهم فيه أميناً يمنعهم من التعدي والدخول في ما خطرَ عليهم، لأنَّه لو لم يكن ذلك كذلك لكانَ أحدٌ لا يتركُ لذَّته ومنفعتَه لفسادِ غيره"².

¹ السيد الرضي، نهج البلاغة، ج 1، ص 91.

² عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج 1، ص 107.

تمارين

1. أعرّف معنى شموليّة الإسلام:

2. أضع علامة ✓ أو ✗ أمام التعابير الآتية:

. كمال الدين شموله لكافة الحاجات البشرية.

. يقع التعارض والاختلاف بين الناس نتيجة الميول والرغبات.

. يحتاج القانون إلى سلطة تنفيذية ليصلح البشر.

. لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر.

. قوانين وأحكام الإسلام لا تدلّ على ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية.

. لا يجوز إقامة الحكومة الإسلامية في عصر الغيبة.

3. أملأ الجدول بما يناسب، الشريعة الإسلامية:

الشاهد	الصفة
-----	شاملة
ذكرى للعالمين	-----
-----	أبدية

4. هل وجود الحاكم ضرورة، لماذا؟ أذكر مثلاً واقعياً:

الدرس الثامن: الإمامة امتداد للنبوّة

أهداف الدّرس

على الطّالب مع نهاية هذا الدّرس أن:

- 1- يتعرّف إلى معنى الإمامة.
- 2- يتتّبّت وجود الإمامة ويبيّن دور الإمام.
- 3- يشرح كيفيّة تعيين الإمام.

معنى الإمامة

نبدأ بذكر الإمامة بحسب اللغة؛ لأنّ ذلك يوضّح معنى الإمامة في العقيدة.

الإمام في اللغة هو الذي يتقدّم على غيره، ويقتدي به من خلفه من الناس، ولذلك يُسمّى من يصلّي الناس خلفه بالإمام؛ لأنّه يتقدّم على غيره ويقتدي به المصلّون خلفه.

ومن هذا المعنى اللغويّ، كان معنى الإمامة في العقيدة، فالإمام في العقيدة هو من له الرئاسة العامّة في أمور الدين والدنيا، فتشمل كافّة النواحي الحياتيّة للإنسان، وهذا المنصب ثابت للأئمة عليهم السلام بما أتمّ خلفاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلهم ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الولاية على الناس وعلى شؤونهم.

دور الإمام

من خلال التعريف المتقدّم للإمام، وكونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبملاحظة ما تقدّم من دور الأنبياء عليهم السلام، يتّضح لنا دور الأئمة عليهم السلام وهو عبارة عن:

أ- بيان المعارف الدينيّة والإلهيّة: من العقائد والمفاهيم والأحكام الشرعيّة. باعتبارهم يشكّلون المرجعيّة الدينيّة.

ب- إدارة المجتمع الإسلاميّ: والدولة الإسلاميّة، من خلال الحكم بين الناس وإقامة العدل، وحفظ الثغور، لأنّهم يمثّلون المرجعيّة السياسيّة والإداريّة.

ج- تربية النفوس وتركيتها: بتربية الناس على التقوى والعمل الصالح، واتّخاذهم من قبل الناس أسوة يُقتدى بها.

الدليل على الإمامة

هل ختتم النبوة بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يمكّن الناس من الاستغناء عن هداية السماء، ويجعلهم يمتلكون القدرة على إدارة مصالحهم؟

إنّ الجواب عن هذا السؤال، هو الذي يوضّح لنا الدليل على ضرورة وجود الإمام.

فالناس لا يمكنهم الوصول إلى كلّ ما يريدّه الله عزّ وجلّ منهم في ما يتعلّق بأمر الدنيا والآخرة؛ لأنّهم لا يمتلكون الأدوات الكافية للوصول إلى ذلك، فعقل الإنسان مهما سما يبقى عاجزاً عن إدراك كلّ شيء، وما وصل إلى الناس من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونتيجة للظروف التي أحاطت به، من حروب ومعارك ونفاق، ليس كافياً لبيان كلّ شيء للناس كافّة. ولذا، كان لا بدّ من وجود إنسان، لقنّه النبي كلّ ما يحتاج إليه الناس، ويملك الكفاءة والقدرة على القيام بالدور المنوط به. وهذا لا يتوفّر إلّا في الإمام. ولذلك اقتضت الضرورة وجوده.

وكما تقدّم في دليل النبوة، فإنّ مقتضى اللطف الإلهي بالناس، أن يعيّن لهم شخصاً يرجعون إليه، ويهتدون بهديّه.

وقد تقدّم أيضاً، أنّ الله عزّ وجلّ لا يعذب إنساناً على معصيته وعدم طاعته، إلّا أن يُلقي عليه الحجّة، بأن يعيّن له من يرجع إليه في بيان ما يريد، ولذا كان الأئمة عليهم السلام حجج الله على عباده، وإلى هذا يشير كلام أمير المؤمنين عليه السلام: "لا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ؛ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً أَوْ خَائِفاً مَغْموراً لِيَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ"¹.

تعيين الإمام

إذا عرفنا هذا كلّ، ندرك شيئاً آخر، وهو أنّ الله عزّ وجلّ بيده تعيين الإمام، وبذلك تكون الإمامة تعيين إلهي، ووظيفة الرسول هي بيان ذلك التعيين للناس. ولذا فقد أمر

¹ السيد الرضي، نهج البلاغة، الحكمة 147.

الله عزّ وجلّ نبيّه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم أن يبلغ الناس يوم غدیر خمّ في حجّة الوداع. بتنصيب أمير المؤمنين عليه السلام خليفة وإماماً من بعده فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾¹ وبعد هذا البلاغ نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾².

فكان كمال الدين وتمام النعمة بولاية أمير المؤمنين عليه السلام الصادرة من الله عزّ وجلّ.

وهذا ما أكّده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لما جاءه رجلٌ من بني عامر يريد الإسلام، فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أرأيت إن بايعناك على أمرك ثمّ أظهرك الله على من خالفك، أكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يصعّهُ حيث يشاء"³.

وقد صرح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم غير مرّة بأمر الإمامة والخلافة وذلك في بعض أحاديثه وعند تفسيره لبعض الآيات، ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾⁴.

حيث ورد في تفسير أولي الأمر بأهم الأئمّة الإثنا عشر من ذريّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ففي الرواية عن جابر الأنصاريّ قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ عرفنا الله ورسوله، فمن أولي الأمر؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: "همّ خلفائي يا جابر وأئمّة المسلمين بعدي أولهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التّوراة بالباقر، وسندركه يا جابر فإذا لقيته فأقرئه مني السلام. ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سمّي وكنّي حجّة الله في أرضه ونبيّه في عباده ابن الحسن ابن عليّ الذي يفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها. ذاك الذي يعيب عن

¹ سورة المائدة، الآية 67.

² سورة المائدة، الآية 3.

³ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج28، ص 272.

⁴ سورة النساء، الآية 59.

شيعته، غيبه لا يثبت على القول في إمامته إلا من امتحن الله قلبه بالإيمان"¹.

نضيف إلى هذه الرواية، روايات كثيرة أخرى، منها:

أ- حديث الثقلين: ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض"².

فهذه الرواية واضحة وصريحة، من قوله (تمسكتم بهما)، بأن الرجوع إلى القرآن وإلى أهل البيت هو الضامن لاستمرار الإنسان في خط الهداية، أما الرجوع إلى أحدهما فغير كافٍ.

ب- حديث السفينة: "إنما مثل أهل بيتي في هذه الأمة مثل سفينة نوح في لجة البحر من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى"³.

فكما تكون السفينة أماناً من الغرق، كذلك أهل البيت عليهم السلام، هم أمان لهذه الأمة من الضلال والانحراف.

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 23، ص 289.

² م. ن. ج 2، ص 100.

³ م. ن. ج 22، ص 408.

تمارين

1. أعرّف معنى الإمامة:

2- أضع علامة ✓ أو ✗ أمام العبارات الآتية:

. الإمامة منصب إلهي.

. يتم تعيين الإمام بالشورى أو بالانتخاب.

. يجب أن تتوفر في الإمام صفات العصمة والأعلمية والكمال.

. يحق للإمام عليه السلام التشريع، كما يحق للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

. الإمامة إكمال للدين وإتمام للنعمة.

3. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، من المقصود بأولي الأمر منكم؟

4. أذكر هل إن الإمامة أمر إلهي أم اختيار نبوي، ولماذا؟

الدرس التاسع: المعاد والأدلة عليه

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يتعرّف إلى معنى المعاد.
- 2- يستدل على حتمية المعاد.
- 3- يبيّن الآثار المترتبة على وجود المعاد.

ما هو المعاد؟

من الأركان الأساس في الرسالات السماوية الإيمان بالمعاد، أي الإيمان بيوم يبعث الله فيه الناس للحساب.

وليوم المعاد أسماء عديدة تعرّض لها القرآن الكريم مثل: يوم القيامة، يوم الحساب، اليوم الآخر، يوم البعث وغير ذلك.

إنّ إنكار المعاد كان السّمة البارزة للكافرين الذين أنكروا نبوة الأنبياء عليهم السلام، وقد تعرّض القرآن الكريم لهذا الأصل المهمّ في أكثر من ألفي آية.

والمعاد مأخوذ من العود بمعنى الرجوع، فيقال: هذا وقت مَعَادِهِ أي وقت رجوعه. فالإنسان بعد مرحلة الموت سوف يعود من جديد ليلقى جزاء عمله من خير أو شرّ.

الدليل على المعاد

ورد في القرآن الكريم العديد من الأدلة المثبتة للمعاد، وهذه الأدلة تُثبت المعاد من خلال رجوع الإنسان إلى عقله، فلو اعتمد الإنسان طريقة صحيحة في التفكير، لتمكّن من الوصول إلى هذه النتيجة. ونتعرّض هنا لدليلين من هذه الأدلة:

الدليل الأوّل: دليل الحكمة الإلهية:

من الصفات الإلهية أنّه حكيم، والحكيم هو الذي يصدر كلّ فعلٍ منه لغاية ولهدف، ولا يصدر منه فعل عبثاً ولغوّاً، دون غاية وقصد ومطلوب.

وبما أنّ الإنسان مخلوق من مخلوقات الله، أتقن الله صنعه، وخالقه في أفضل صورة، ووهبه القدرة على تسخير السماوات والأرض وما فيها.

إذاً، لا بدّ وأن يكون خلق الإنسان لغاية ولهدف، ومن غير الممكن أن يكون الإنسان

مخلوقاً عبثاً، وإلا لكان فعلاً عبثياً ينافي حكمته تعالى عن ذلك.

إذا اتضح هذا، فنحن أمام احتمالين:

الأول: أن تكون هذه الحياة الدنيا هي النهاية والخاتمة، فلا حياة بعد هذه الحياة، ولا وجود لعالم يسمى عالم الآخرة والمعاد، وهذا يعني أن الإنسان لم يخلق لغاية ولا لهدف، وأن حياته وخلقته عبث ولغو، لأنّ الإنسان لو كان مخلوقاً للحياة المادّية والحيوانية فقط لكان تجهيزه بالعقل الذي يُدرك به أسرار الوجود لغواً، وما فطره فيه على حبّ الكمال الذي لا حدّ له عبثاً والله عزّ وجلّ حكيم منزّه عن أن يكون خلقه للإنسان كذلك.

الثاني: أن يكون هناك عالم آخر، يُبعث فيه الإنسان بعد الموت، وذلك العالم هو الغاية والهدف. وهنا لا يكون خلق الإنسان عبثاً، وتختتم حياته بالحياة المادّية والحيوانية بل يتناسب خلقه مع الحكمة الإلهية التي توجب أن تتواصل هذه الحياة لتحقيق الهدف الذي خُلق الإنسان لأجله وهو يوم المعاد.

وتختصر لنا الآية هذا الدليل، بقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾¹.

الدليل الثاني: دليل العدالة الإلهية:

إذا تأملنا في المجتمعات البشريّة كافة، وقرأنا تاريخها فسوف نجد أنّ المجتمع مكوّن من طائفتين من الناس: مُسيء لغيره ومحسن لغيره.

فالطائفة الأولى: هم الذين يعيشون على ظلم الناس، وأكّل حقوقهم، يفعلون المنكرات، ويمارسون القتل والاضطهاد والأذى بحقّ سائر الناس.

والكثير من هؤلاء، لا ينال جزاءه في هذه الدنيا، ولا يتمكن أحد من الناس أن يسترجع حقّه منه.

¹ سورة المؤمنون، الآية 115.

والطائفة الثانية: هم الذين يراعون حقوق الناس ولا يظلمون، ويتحملون المشاق في سبيل سلوك طريق الخير والعدل.

والكثير من هؤلاء لا ينالون ثواب عملهم وتضحيتهم في هذه الدنيا، بل لعلّ منهم من يضحي بنفسه وبروحه في سبيل حفظ حقوق الناس وكراماتهم، كالمجاهدين والشهداء، الذين لم ييخلوا بشيء في سبيل الحقّ.

النتيجة

إذا لاحظنا ذلك فنحن أمام احتمالين أيضاً:

الاحتمال الأول: أن لا يكون هناك يوم معاد، ويوم جزاء ويوم حساب، وهذا مخالف للعدالة، إذ كيف يستعيد المظلوم حقّه، وكيف يقتصّ من الظالم، وكيف يثاب المحسن على إحسانه؟

الاحتمال الثاني: أن يكون هناك يوم معاد، للحساب والجزاء، فينال العاصي جزاءه ويقتصّ منه، وينال المطيع جزاءه ويُعطى ثواب عمله، وهو الموافق للعدالة.

ومن صفات الله عزّ وجلّ العدل، فهو لا يظلم أحداً من الناس ولا يرضى بظلم أحد منهم، وهو الذي يأخذ بحقّ المظلوم من الظالم، ويثيب المطيع المضحي، ولأن ذلك غير ممكن في الدنيا - كما هو المشهود - فكان لا بد من يوم آخر تتحقق فيه هذه العدالة وهو يوم المعاد.

ويتعرض القرآن الكريم لهذا الدليل، بقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾¹.

تمارين

1. أعرف معنى المعاد، وأذكر أسماء قرآنية أخرى له:

2. أضع علامة ✓ أو ✗ أمام العبارات الآتية:

. الإيمان بالعدل الإلهي دليل عقلي على ضرورة المعاد.

. العالم الحقيقي الذي أُعدَّ لعيش الإنسان فيه هو الدنيا.

. الاعتقاد بالمعاد له تأثير كبير على سلوك الإنسان.

. ما خلقتم للبقاء، بل خلقتم للفناء، وإنما تنقلون من دار إلى دار.

. لا تصح المقايسة بين عالم الدنيا وعالم الآخرة.

3. أذكر دليلاً على المعاد:

4. أوضح "لو كانت هذه الدنيا نهاية الإنسان، لكانت خليقته عبثاً":
